

(مبادئ الحقوق العامة وأسسها)
دراسة مبدأ الخدمات العامة من وجهة نظر نهج البلاغة

تأريخ القبول: ١٤٣٩/٧/٢٣

تأريخ الاستلام: ١٤٣٩/٥/٢٣

احمد اكبرزاده*

سيد محمد صدرى**

عليرضا دل افكار***

الخلاصة

تعتبر الخدمات العامة من المبادئ البنوية للحقوق العامة، وهي عبارة عن الفعاليات العامة التي تقوم بها الحكومة أو أي كيان خاص نيابة عن الحكومة، ويحظى هذا المبدأ بأهمية كبيرة لدرجة أن الدولة التي تفتقر إلى القدرة على تقديم الخدمات العامة، تفقد الجدارة في البقاء. ويعتبر الإمام علي (ع) أيضاً أن أحد واجبات الحكومة يتمثل في تقديم الخدمات العامة ويعتبر إهمالها من عدم كفاءات الحكومة. فالنصوص في نهج البلاغة تدلّ على أنّ الحكومة ملزمة بتقديم الخدمات العامة في المجالات الاجتماعية والثقافية والتعليمية والعسكرية والقضائية والإدارية والمالية والتجارية والصناعية وباعتباره نموذجاً عملياً إدارياً فهو يتطرق للتعبير عن الخدمات العامة التي تقدمها الحكومة العلوية ويتناول قضايا ثقافية وتربوية وتعليمية وقانونية وأمنية. من وجهة نظر نهج البلاغة، يجب أن تقوم الخدمات التي تقدمها الحكومة لعامة الناس على مبادئ المساواة والصبر والاستمرارية والتوكل على الله وعدم المنّة، بحيث تلتزم الحكومة نفسها بهذه المبادئ.

الكلمات المفتاحية: الحقوق العامة، الخدمات العامة، نهج البلاغة، حقوق المواطنين على الحكومة.

*مرية بجامعة پیام نور (الكتاب المسئول) (mahdy_1338@yahoo.com)

**أستاذ معيد في جامعة پیام نور (smsadri42@gmail.com)

***أستاذ معيد في جامعة پیام نور (delafkar@pnu.ac.ir)

المقدمة وإشكالية البحث

يحتاج الشخص الحكيم إلى النظم من أجل أن يحيا حياة اجتماعية وأن يرى كل شيء مبنياً على القانون، ولكن الحياة المنتظمة ليست كل ما يحتاجه الإنسان. الإنسان عطش للعدالة ولا ينفعه النظام في السجن. وعلاوة على ذلك، فقد أظهرت التجربة أنه يعتمد على مخالفة النظام من أجل الإطاحة بقسوة الظلم. ولذلك فإن قيمة النظام تكمن في كونه مقدمة للعدالة (كاتوزيان، ١٣٨٣: ٤). وبناءً على هذه الحاجة، قَبِلَ البشرُ المجتمعَ المدني والحكومة. ومع خضوع الإنسان للحكومة فقد أصبح المجتمع مكوناً من شريحتين هما الرئيس والمرؤوس (پروين، ١٣٩٣: ٦٦). وتدور جميع المناقشات الرئيسية حول تنظيم العلاقة بين الشريحتين. وتنظيم العلاقة بين هاتين الشريحتين، أنشئ فرع من علم القانون تحت عنوان "الحقوق العامة". وبالتالي، فإن السجل التاريخي للحقوق العامة يرتبط ارتباطاً مباشراً بتاريخ الحكومة (پروين، ٢٠١٤م: ٦٦). وهكذا، يذكر في تعريف الحقوق العامة أنها علاقات الأفراد بالمجتمع (والذي يمثل وحدة سياسية) أو مع المرافق العامة لهذا المجتمع (مثل الإدارات والوزارات)، وكذلك العلاقات بين اثنين أو أكثر من المجتمعات (مثل علاقات البلد مع البلدان الأخرى) أو مؤسستين عامتين أو أكثر (جعفري لنگرودي، ١٣٦١: ١٦). تعتبر الحقوق العامة بصفتها فرعاً من علم القانون ذات مبادئ أساسية، أهمها مبدأ الخدمة العامة (گرجي، ١٣٨٩: ٩٧). وتتماشى الخدمات العامة مع تلبية احتياجات عامة الناس. وتختلف الاحتياجات البشرية من وقت لآخر، حيث لم يكن البشر قادرين على تلبية جميع حاجاتهم، ومنذ المراحل الأولى للحضارة، كانوا يعتبرون أن السلطة الحاكمة مسؤولة عن بعض الشؤون. ولكن مع تقدم الحضارة الإنسانية، تتغير احتياجات الناس أيضاً، حيث أصبح وجود الدولة والسلطة الحاكمة أكثر أهمية في تلبية هذه الاحتياجات تدريجياً وتم تشكيل الخدمات العامة. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: ما هي منزلة مبدأ الخدمات العامة في نهج البلاغة كمصدر إسلامي موثوق؟ الجواب على هذا السؤال هو الهدف الرئيسي من هذه المقالة.

أهمية البحث وضرورته

توجد في جميع المجتمعات علاقات وفيرة وكثيرة بين الملاك والمستأجرين وأرباب العمل والأجراء والتجار والعملاء والضباط والجنود وجباة الضرائب ودافعو الضرائب وما إلى ذلك. وتمثل الحقوق مجموعة من هذه القواعد وتقوم بتنظيم كافة هذه العلاقات. هذه هي طبيعة أي مجتمع متحضّر يبذل قصارى جهده لتجنب العنف. ومع ذلك، فإن كل نوع من هذه العلاقات يقود إلى قاعدة خاصة، والحق العام هو شكل من أشكال العلاقات الاجتماعية التي تنشأ بين من يملكون السلطة ومن يطيعون السلطة. أصبحت الحقوق

العامة في الوقت الحاضر بالغة الأهمية، وعلى الرغم من مشاركة المواطنين على نطاق واسع في ممارسة السلطة، فإن وجود سلطة سياسية وإدارية هو من السمات الأساسية للمجتمعات الحديثة (دومشيل ولالومي ير، ١٣٧٦: ١١). في فلسفة الحقوق، عندما يجري الحديث حول أساس الحقوق، يفترض بنا العثور على المصدر الأساسي كأمر إلزامي. بناءً على الهدف الرئيسي نفسه، فإن السؤال الأول الذي يجب طرحه هو لماذا يجب أن يطاع القانون؟ من أين تنشأ قوة نفاذ الحقوق؟ في مبادئ الحقوق العامة، يتم تتبع هذه البحوث على نطاق أضيق (كاتوزيان، ١٣٨٣: ٧). ومن أهم مبادئ الحقوق العامة مبدأ الخدمة العامة. ولا يستثنى المجتمع الإسلامي الذي يتميز بنظامه الحقوقي الخاص به. ولذلك، ينبغي دراسة مبدأ الخدمة العامة تحت عنوان مبادئ الحقوق العامة في المصادر الإسلامية. أحد هذه المصادر هو نهج البلاغة. ونظراً لعدم إجراء أبحاث خاصة حول مجال بحثنا في نهج البلاغة، يبدو أن إجراء هذا البحث أمر ضروري.

خلفية البحث

أجريت بعض البحوث حول مبدأ الخدمة العامة تحت عنوان مبادئ الحقوق العامة وأسسها ضمن إطار المقالات والكتب. ومن بين الأبحاث التي أجريت فيما يتعلق بنهج البلاغة، لم تلاحظ أية بحث حول الموضوع قيد البحث. ولكن سنذكر فيما يلي بعض مبادئ الحقوق العامة تحت عناوين أخرى تلاحظ في أجزاء من البحوث:

أ) الكتب

١. گرجي (١٣٨٩) في كتاب "أسس الحقوق العامة": تحدث عن مبادئ الحقوق العامة وأسسها وتطرّق إلى مفهوم مبدأ الخدمات العامة ومنزلته في الحقوق العامة.
٢. عباسي (١٣٩٣) في كتاب "أسس الحقوق العامة": شرح ١٢ مبدأً من المبادئ والأسس الخاصة بالحقوق العامة وبيّن منزلة مبدأ الخدمات العامة في الحقوق العامة والأسس التي تحكمه.
٣. ماندگار (١٣٨١) في كتاب "الاستراتيجيات السياسية لنهج البلاغة": تطرق إلى بيان مفاهيم الأمن والرفاهية والتربية كأهداف للحكومة في نهج البلاغة.
٤. دلشاد (١٣٧٧) في كتاب "حكومة الحكمة": بين مفهوم الحكومة وضرورتها ومنشأها وحقوقها تحت عنوان أهداف الحكومة، وشرح مفاهيم العدالة والأمن والرفاهية والتربية من وجهة نظر نهج البلاغة.

ب) المقالات

١. گرجي (١٣٩٠) في مقالة "عشرة دساتير في الحقوق العامة، لمحة عن مبادئ الحقوق العامة ومفاهيمها البنوية": بيّن وجود

أنواع الخدمات العامة وكيفية التعامل معها

تقسم الخدمات العامة إلى ثلاثة أنواع:

(النوع الأول)

الخدمات الإدارية العامة مثل الخدمات الصحية والتعليمية.

(النوع الثاني)

الخدمات الصناعية والتجارية العامة على شكل إنتاج وتبادل.

(النوع الثالث)

الخدمات المهنية والاجتماعية العامة على شكل نقابات عمالية

مثل نقابة الأطباء ونقابة المهندسين ونقابة المحامين. (موسى زاده،

١٣٨٦: ٥٤-٥٣).

وعادة ما تتم إدارة الخدمات العامة بثلاث طرق:

١. إدارة الخدمات العامة من قِبَل الحكومة حصرياً مثل الخدمات

المتعلقة بالطاقة الذرية والنفط.

٢. الخدمات العامة التي تقدمها الحكومة والقطاع غير الحكومي

بالشراكة، مثل الخدمات الصحية والطبية.

٣. الخدمات العامة التي يقدمها القطاع غير الحكومي، مثل

الخدمات التي تقدمها النقابات العمالية والكتاب العدل. (موسى

زاده، ١٣٨٦: ٤٣-٤٢)

مبادئ الخدمات العامة

ويتمثل الغرض من الخدمات العامة في تلبية الاحتياجات العامة

والحفاظ على المصلحة العامة. وبالتالي فإن الخدمات العامة تستند

إلى ركائز تقوم على ثلاثة مبادئ متفق عليها من قبل خبراء الحقوق

وتتمثل في الاستمرارية والمساواة والتطابق، وعلى مبدأين آخرين هما

مبادئ المجانية والحياد واللذان لم يحظيا بإجماع الجميع. (رضايي

زاده، ١٣٨٥: ٢٣٢).

١. مبدأ المساواة

وبالنظر إلى المبدأ العام المتمثل في المساواة بين المواطنين أمام

القانون والسلطة العامة، وبما أن الخدمات العامة تقدم إلى عامة

الجمهور، فإن مبدأ المساواة ينص على أن يتمتع جميع الأشخاص

بالتساوي من حيث الفوائد والمنافع والواجبات الناشئة عن الخدمات

العامة والإنفاق العام بهدف توفير المصلحة العامة (عباسي، ١٣٩٣:

٢٠٠).

٢. مبدأ الثبات أو الاستمرارية

يجب تقديم الخدمات العامة بشكل مستمر دون توقف (إمامي،

استوارسنكرري، ١٣٨٨: ٤٠).

المفاهيم المتعددة للحقوق العامة وتطرق إلى شرح عشرة منها.

أحد أهم هذه المبادئ مبدأ الخدمات العامة.

٢. سلطانمرادي، هاييلي (١٣٩٠) في مقالة "حقوق الإنسان في نهج

البلاغة": تطرق إلى مفاهيم الخير والعدالة الاقتصادية والرفاهية

الاجتماعية ومتابعة شؤون العمّال وحاجات الشعب والتعليم

والتربية والأخلاق الحسنة في التعامل مع الناس تحت عنوان

"حقوق الشعب على الحاكم".

مبدأ الخدمات العامة

يعتبر مفهوم الخدمات العامة أحد المبادئ الأساسية للحقوق العامة،

حيث تعتمد شرعية الدولة على نسبة الخدمات العامة التي تقدمها

بالفعل، تلك الخدمات اللازمة لحياة الناس واحتياجاتهم المادية

والمعنوية. لذلك إذا لم يكن لدى الحكومة القدرة على القيام بهذا

الواجب أو لم تكن تعرف كيفية القيام بذلك، فسوف تفقد جدارتها

في البقاء (كاتوزيان، ١٣٨٣: ٤٩).

تعريف الخدمات العامة

هناك عدة تعريفات في سياق هذا المفهوم نشير إليها فيمايلي:

١. الخدمة العامة عبارة عن نشاط عمومي تتم الموافقة عليه من قبل

الحكومة أو المشرّع، ويتم اتخاذ قرار القيام به وتنفيذه من قبل

الشخصية الاعتبارية للحقوق العامة. كما تُعرّف الخدمة العامة

بأنها نشاط عام يقوم به كيان خاص وفقاً لقواعد قانونية محددة

تتضمن امتيازات أو واجبات. (عباسي، ١٣٩٣: ١٩٧).

٢. الخدمة العامة عبارة عن نشاط ضروري لتحقيق المصلحة العامة.

وبهذا المعنى، تعتبر الخدمة العامة نشاطاً يتمثل في توفير المرافق

وتقديم الخدمات. (رضايي زاده، ١٣٨٥: ٢٢٥)

٣. الخدمات العامة هي الخدمات اللازمة لتلبية الاحتياجات وتوفير

المصلحة العامة ولا تخضع للعلاقات الحرة أو قواعد الحقوق

الخاصة، وتقوم الحكومة بإدارتها أو ممارسة الرقابة عليها بطريقة

أو بأخرى. (إمامي و استوار سنكرري، ١٣٨٨: ٣٨).

٤. التعريف الماهوي أو الوظيفي للخدمة العامة هو الأفعال التي يقوم بها

شخص سعيًا لتحقيق المصلحة العامة. (گرجي، ١٣٨٩: ١٠٩)

٥. تقتصر الخدمات العامة على تلبية الاحتياجات العمومية حيث يقرر

رجال الدولة في فترة زمنية معينة تلبية تلك الاحتياجات من خلال

مؤسسات القطاع العام أو الحكومي. (موسى زاده، ١٣٨٦: ٥١).

وهكذا يمكننا التعبير عن جميع التعاريف الواردة في هذا الصدد

بأن الخدمات العامة تمثل نشاطاً عاماً تتم ممارسته وفقاً لقواعد

الحقوق العامة من أجل تلبية الاحتياجات العامة للمجتمع من قبل

المؤسسات الحكومية والكيانات الخاصة نيابة عن الدولة.

٣. مبدأ التطابق

الْمَالِ وَجِبَابَةِ الْأَرْضِ وَالْقَضَاءِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالتَّنَزَّرَ فِي حُقُوقِ الْمُطَّلَبِينَ ثُمَّ أَخْرَجَ فِي كِتَابِهِ أُتْبِعَ أُخْرَى تَقْلُقُلُ تَقْلُقُلُ الْقِدْحِ فِي الْجَفِيرِ الْفَارِغِ وَإِنَّمَا أَنَا قُطْبُ الرَّحَى». (الخطبة: ١١٩).

وينبغي للخدمات العامة، وفقاً لحاجاتها ومتطلباتها، أن تكون دائماً قادرة على التكيف مع التغييرات المحتملة في المصلحة العامة. ويستند مبدأ التطابق إلى فكرة أن احتياجات الحياة الاجتماعية تتغير باستمرار، وتتطلب المصالح العامة أن تتلاءم المؤسسات الإدارية باستمرار مع هذه الاحتياجات (عباسي، ١٣٩٣: ١٩٨).

أنواع الخدمات العامة

تنقسم الخدمات العامة المذكورة في نهج البلاغة إلى أنواع مختلفة وسوف نشير إليها فيما يلي:

٤. مبدأ عدم الانحياز

ويحظر هذا المبدأ أي تحيز يؤدي إلى التمييز في أداء الخدمات العامة ويعتبره معارضاً لمبدأ المساواة (المصدر نفسه: ٢٠١). ويبدو أن مبدأ عدم الانحياز ومبدأ المساواة هما وجهان لعملة واحدة. (رضايي زاده، ١٣٨٥: ٢٣٧).

أ) الخدمات الترفيهية

اهتم أمير المؤمنين عليه السلام في هذا المجال اهتماماً خاصاً ببحث الرفاهية ومعيشة الناس والحقوق التي ينبغي على الحكومة تلبيتها في هذا المجال:

١- أصدر عليه السلام بلاغاً إلى المخنف بن سليم الأزدي الذي كان يُجبي الضرائب يطالبه فيه بمراعاة حقوق الناس وتلبية حاجاتهم: «إِنَّ لَكَ فِي هَذِهِ الصِّدْقَةِ نَصِيباً مَفْرُوضاً وَحَقّاً مَعْلُوماً شُرَكَاءَ أَهْلِ مَسْكَنَةٍ وَضِعْفَاءَ ذَوِي فَاقَةٍ وَإِنَّا مُؤَفَّوْكَ حَقَّكَ فَوْفَهُمْ حُقُوقَهُمْ وَإِلَّا تَفَعَّلْ فَإِنَّكَ بَيْنَ أَكْثَرِ النَّاسِ حُصُوماً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبُؤْسَى لِمَنْ حَصَمَهُ عِنْدَ اللَّهِ الْفُقَرَاءُ وَالْمَسَاكِينُ وَالسَّائِلُونَ وَالْمَدْفُوعُونَ وَالْغَارِمُونَ وَابْنُ السَّبِيلِ». (الرسالة: ٢٦).

٥. المجانية

ويعتبر بعض الكتاب أن مبدأ الخدمة العامة المجانية هو أحد المبادئ الأساسية في هذا المجال (المصدر نفسه: ٢٣٥). ويعتقد مورسين هورير أن الخدمات العامة يجب أن تكون مجانية ويجب أن يتم توفير تكاليفها من الإيرادات العامة والضرائب (عباسي، ١٣٩٣: ٢٠٢).

مبدأ الخدمات العامة في نهج البلاغة

٢- كما وظّف أمير المؤمنين عليه السلام مالك الأشتر في بلاغ أرسله إليه بالاهتمام بالوضع المعيشي للمحتاجين والفقراء في المجتمع: «ثُمَّ اللَّهُ اللَّهُ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى بَيْنَ الَّذِينَ لَا حِيلَةَ لَهُمْ مِنَ الْمَسَاكِينِ وَ الْمُحْتَاجِينَ وَأَهْلِ الْبُؤْسَى وَالرِّمَى فَإِنَّ فِي هَذِهِ الطَّبَقَةِ قَانِعاً وَمُعْتَرّاً وَاحْفَظِ [اللَّهُ] لِلَّهِ مَا اسْتَحْفَظَكَ بَيْنَ حَقِّهِ فِيهِمْ وَاجْعَلْ لَهُمْ قِسْماً مِنْ بَيْتِ مَالِكَ وَقِسْماً مِنْ غَلَّاتِ صَوَافِي الْأَسْلَامِ فِي كُلِّ بَلَدٍ فَإِنَّ لِلْأَقْصَى مِنْهُمْ مِثْلَ الَّذِي لِأَدْنَى». (الرسالة: ٥٣).

تمثل إحدى أهم فلسفات الحكومة في تقديم الخدمات للشعب، ومن هذا المنطلق فإن الوكلاء والموظفين في كل منصب هم خُدّام للشعب. هذا الأمر مبدأ أساسي في النظام الإداري (كاتوزيان، ١٣٨٣: ٤٩). وظالما أن هناك مثل هذه الأحاسيس، فلن يتصرف مسؤولو الحكومة أي تصرف ينطوي على الشعور بملكيتهم للشعب أو ترؤسهم لهم. يقول أمير المؤمنين عليه السلام في حكمة وجهها إلى جابر بن عبد الله الأنصاري: «مَنْ كَثُرَتْ [نِعْمَةٌ] يَعْزَمُ اللَّهُ عَلَيْهِ كَثُرَتْ حَوَائِجُ النَّاسِ إِلَيْهِ فَمَنْ قَامَ لِلَّهِ فِيهَا بِمَا يَجِبُ فِيهَا عَرَضَهَا لِلدَّوَامِ وَالْبَقَاءِ وَمَنْ لَمْ يَقُمْ فِيهَا بِمَا يَجِبُ عَرَضَهَا لِلزَّوَالِ وَالْفَنَاءِ». (الحكمة: ٣٧٢).

٣- وفي جزء آخر من رسالة الإمام علي عليه السلام إلى مالك، يعتبر علي عليه السلام أن الاهتمام بالظروف المعيشية لجميع شرائح المجتمع بما يصلح شؤونهم، أمر من أوامر الله للحكام. بعد ذكره لمختلف شرائح المجتمع، يقول الإمام علي عليه السلام: «وَلِكُلِّ عَلَى الْوَالِي حَقٌّ بِقَدْرِ مَا يُصْلِحُهُ وَلَيْسَ يَخْرُجُ الْوَالِي مِنْ حَقِيقَةِ مَا أَلْزَمَهُ اللَّهُ [تَعَالَى] بَيْنَ ذَلِكَ إِلَّا بِالْإِهْتِمَامِ وَالِاسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ». (الرسالة: ٥٣).

ومن النعم التي أنزلت على بعض الناس، نعمة الحكومة التي توضع تحت تصرف بعض الأفراد كأمانة، وكما يقول أمير المؤمنين عليه السلام، من كثرت نعمه كثرت عليه حوائج الناس. وفيما يتعلق بالحكومة، فإن متابعة هذه الحوائج كمهمة يسمي خدمة ونظراً لأنها تخدم المصالح العامة فهي تسمى "الخدمة العامة" (جرجي، ١٣٨٩: ١٠٩). إن الدولة التي تفشل في أداء هذه المهمة أو لا تعرف كيف يقوم بهذا الواجب فسوف تفقد جدارتها في البقاء (كاتوزيان، ١٣٨٣: ٤٩).

ب) الخدمات الثقافية والتعليمية

يبين الإمام علي عليه السلام هذا القسم من الخدمات في الخطبة ٣٤ من نهج البلاغة تحت عنوان حقوق الشعب على الحاكم في ثلاثة أفرع:

يعتبر علي عليه السلام أن تقديم الخدمات العامة ووظيفة الحاكم ويرى أن إهمالها أمر يتنافى مع كفاءة الحاكم. بعد أن دعا الإمام علي عليه السلام الناس إلى قمع معاوية، أجاب الأفراد الذين قالوا سننتحرك معك لو تحركت قاتلاً: «لَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَدَعَ الْجُنْدَ وَالْمَصْرَ وَيَبَيْتَ

ثانياً) تحديد بعض الصفات والشروط لهؤلاء الأفراد: «وَتَوَخَّ مِنْهُمْ أَهْلَ التَّجَرِبَةِ وَالْحَيَاءِ مِنْ أَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ وَالْقَدَمِ فِي الْإِسْلَامِ الْمُتَقَدِّمَةِ فَإِنَّهُمْ أَكْرَمُ أَخْلَاقاً وَأَصَحُّ أَعْرَاضاً وَأَقْلُّ فِي الْمَطَامِعِ [إِشْرَافاً] إِشْرَافاً وَأَبْلَغُ فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ نَظْراً». (الرسالة: ٥٣)

ثالثاً) الرقابة الدقيقة على أعمالهم: «ثُمَّ تَفَقَّدْ أَعْمَالَهُمْ وَابْعَثِ الْعُيُونَ مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ وَالْوَفَاءِ عَلَيْهِمْ». (الرسالة: ٥٣)

و) الخدمات المالية والاقتصادية

تلعب القضايا المالية والاقتصادية دوراً رئيسياً في المساعدة على تقديم الخدمات من قبل قطاعات مختلفة، بما في ذلك الجيش والقضاء والجهاز التنفيذي. إنَّ إحدى طرق تمويل القطاعات الحكومية التي تقدم الخدمات العامة تتمثل في فرض الضرائب. ويأمر علي عليه السلام مالك الأشر بهذا الأمر المهم قائلاً له: «لَا صَلَاحَ لِمَنْ سِوَاهُمْ إِلَّا بِهِمْ». (الرسالة: ٥٣)، ويطلب منه جبي الضرائب والالتزام بحقوق دافعي الضرائب: «وَتَفَقَّدْ أَمْرَ الْخَرَاجِ بِمَا يُصْلِحُ أَهْلَهُ فَإِنَّ فِي صَلَاحِهِ وَصَلَاحِهِمْ صَلَاحاً لِمَنْ سِوَاهُمْ وَلَا صَلَاحَ لِمَنْ سِوَاهُمْ إِلَّا بِهِمْ لِأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ عِيَالٌ عَلَى الْخَرَاجِ وَأَهْلِهِ». (الرسالة: ٥٣).

ونظراً لأهمية الموضوع، فقد بيّن الإمام علي عليه السلام في الرسالة ٥١ من نهج البلاغة قوانين جباية الضرائب والخراج وأنظمتها في خطابه للمسؤولين.

ز) الخدمات التجارية والصناعية

بيّن أمير المؤمنين عليه السلام في البداية مكانة الأشخاص الذين يقدمون الخدمات التجارية والصناعية قائلاً: «لَا قِوَامَ لَهُمْ جَمِيعاً إِلَّا بِالتُّجَّارِ وَذَوِي الصَّنَاعَاتِ فِيمَا يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ مِنْ مَرَافِقِهِمْ وَيَقِيمُونَهُ مِنْ أَسْوَاقِهِمْ وَيَكْفُونَهُمْ مِنَ التَّرْفِقِ بِأَيْدِيهِمْ- [مِمَّا] مَا لَا يَبْلُغُهُ رِفْقُ غَيْرِهِمْ». (الرسالة: ٥٣)

ويقسم الإمام هذه الطبقة من المجتمع إلى ثلاث فئات:

- ١- التجار المقيمون: «المُقيمُ مِنْهُمْ». (الرسالة: ٥٣)
 - ٢- التجار الذين يرحلون باستمرار: «المُضْطَرِبُ بِمَالِهِ». (الرسالة: ٥٣)
- المضطرب من مصدر «ضرب» وعندما يستخدم على وزن افتعال يتحول حرف «ت» إلى «ط». ولذلك فإنَّ المقصود من اضطرب بماله، أنه ضرب في الأرض بماله (شوشتری، ١٣٧٦: ٥٧٨/٨).

٣- الصُّنَّاعُ: «المُتَرَفِّقُ بِيَدِنِهِ». (الرسالة: ٥٣)

وبالنظر إلى أنَّ هذه المجموعات الثلاث هي المصادر الرئيسية للمصلحة وأسباب الحياة ومعدات الراحة من مواقع بعيدة وصعبة، فإنَّ النظر في شؤونهم من قِبَلِ الحاكم من أجل تقديم خدمات أفضل أمر

١. الخدمات الأخلاقية: «النصيحة لكم» في السر والعلانية وتشجيع الناس على محاسن الأخلاق ومكارم الآداب وما فيه خير لهم في الدنيا والآخرة (هاشمي خوئي، ١٤٠٠: ٧٤/٤).

٢. الخدمات التعليمية: «تَعْلِيمُكُمْ كَيْلًا تَجْهَلُوا» تعليم الناس ما فيه خير لهم في الدنيا والآخرة لكي لا يجهلوا (أحمدي ميانجي، ٥١٣١٩، ٦٢٢/١).

٣. الخدمات التربوية: «تَأْدِيبُكُمْ كَيْمًا تَعْلَمُوا»

ح) الخدمات العسكرية

تنص رسالة الإمام علي عليه السلام إلى مالك الأشر على الخدمات العامة التي يمكن تقديمها عن طريق الجيش وهي:

١- حصن الرعية المنيع: «حُصُونُ الرَّعِيَّةِ»

٢- زينة الولاية: «زَيْنُ الْوَلَاةِ»

٣- سبب عزة الدين: «عِزُّ الدِّينِ»

٤- طريق تحقيق الأمن ونشره: «سُبُلُ الْأَمْنِ»

٥- ثبات شؤون الرعية: «أَيْسَ تَقُومُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِهِمْ»

وعندئذ يبين الإمام علي عليه السلام أنه وبالإضافة إلى الخدمات التي قدمها الجيش للرعية فعليه أن يقوم بما يلي:

أولاً - تأدية الخدمة تحت إدارة الحكومة: فَوَلِّ مِنْ جُنُودِكَ أَنْصَحَهُمْ فِي نَفْسِكَ لِلَّهِ وَ لِرِشْوَلِهِ وَإِلِمَامِكَ وَ [أَطَهَرَهُمْ] أَنْقَاهُمْ جَيِّباً وَأَفْضَلَهُمْ حِلْمًا». (الرسالة: ٥٣)

ثانياً - الخضوع لرقابة الحكومة: «ثُمَّ تَفَقَّدْ مِنْ أُمُورِهِمْ مَا يَتَفَقَّدُ الْوَالِدَانِ مِنْ وَلَدِهِمَا». (الرسالة: ٥٣)

د) الخدمات القضائية

يتطرق أمير المؤمنين عليه السلام في هذا الجزء من رسالته إلى مالك الأشر إلى السلطة القضائية فيأمره بتعيين قاض: «ثُمَّ اخْتَرِ لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ فِي نَفْسِكَ وَمَنْ لَا تَضِيْقُ بِهِ الْأُمُورُ وَلَا تُمَحِّكُهُ». (الرسالة: ٥٣) مبيّناً أوصافه وشروطه معتبراً أنَّ الرقابة القضائية من وظائف الحكومة «ثُمَّ أَكْثِرْ تَعَاهُدَ قَضَائِهِ». (الرسالة: ٥٣)

هـ) الخدمات الإدارية

إنَّ المسؤولين التنفيذيين للجهاز الحاكم يلعبون دوراً هاماً في توفير الخدمات الإدارية لعامة الناس، لذلك فإنَّ أمير المؤمنين عليه السلام يأمر مالك الأشر بما يلي:

أولاً) اختيارهم بالاختبار وليس وفقاً لهوى النفس: «ثُمَّ انظُرْ فِي أُمُورِ عَمَلِكَ فَاسْتَعْمِلْهُمْ [اخْتِياراً] اخْتِياراً وَلَا تُؤَلِّمْ مُحَابَاةً وَأَثَرَةً فَإِنَّهُمَا جَمَاعٌ مِنْ شُعَبِ الْجَوْرِ وَالْحِيَانَةِ». (الرسالة: ٥٣)

٢. مبدأ الصبر

يوصي عليه السلام ولاته بالصبر أثناء تقديم الخدمات العامة وسنشير إلى عدة أمثلة في هذا الخصوص:

(أ) في رسالة إلى موظفي بين المال، يوصيهم عليه السلام بالصبر في البت في طلبات الناس: «وَاصْبِرُوا لِحَوَائِجِهِمْ فَإِنَّكُمْ خُرَانُ الرَّعِيَّةِ وَوُكَلَاءُ الْأُمَّةِ وَشُفَرَاءُ الْأَيْمَةِ». أي أنكم أمناء الخزانة وممثلو الرعية في بيت المال ورسول الأئمة: وهذا يعني أن من يكن كذلك فعليه أن يصبر على قضاء حوائج الناس (ابن ميثم البحراني، ١٣٦٢: ١٣٢/٥).

(ب) في رسالة تلقاها مالك الأشتر وهو وال لمصر، تم تكليفه باختيار قائد للجيش يتمتع ببعض الشروط منها الصبر «أَفْضَلُهُمْ جَلْمًا». (الرسالة: ٥٣).

(ج) «وَالصَّبْرُ عَلَيْهِ فِيمَا خَفَّ عَلَيْهِ أَوْ ثَقُلَ». (الرسالة: ٥٣) وبعد التعبير عن أن للرعية حقوقاً على عاتق الحاكم، يشير عليه السلام إلى أن الحاكم لا يمكنه النجاح في هذه الأمور إلا بالسعي والالتكال على الله وإعداد نفسه للحق والصبر في جميع الأعمال السهلة والصعبة.

٣. مبدأ عدم المنة

وهناك مبدأ آخر للخدمة العامة هو مبدأ عدم المنة، لأن المنة تذهب بقيمة الخدمة، والحكومة الدينية حيث تحظى القيم بأهمية خاصة، تتميز قضية عدم المنة بدور مركزي في الخدمة العامة. ولذلك فإن أمير المؤمنين عليه السلام لا يقبل الخدمة المقترنة بالمنة وينهى عنها: «إِنَّاكَ وَالْمَنَ عَلَى رَعِيَّتِكَ بِإِحْسَانِكَ... فَإِنَّ الْمَنَّ يُطِيلُ الْإِحْسَانَ». (الرسالة: ٥٣).

٤. مبدأ الاستمرار

يجب أن تكون الخدمات العامة مستمرة ومستدامة. ينهى أمير المؤمنين مالكا الأشتر عن أن تشغله أعماله الشخصية عن الاستمرار في الخدمة: «فَإِنَّكَ لَا تُعَدَّرُ [بِتَضْيِيعِ النَّافِهِ] بِتَضْيِيعِكَ النَّافِةَ لِإِحْكَامِكَ الْكَثِيرِ الْمُهِمِّ فَلَا تُشْخِصْ هَمَّكَ عَنْهُمْ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لَهُمْ وَتَفَقَّدَ أُمُورَ مَنْ لَا يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ مِمَّنْ تَفْتَحُمُهُ الْعُيُونُ وَتُخْفِرُهُ الرَّجَالُ». (نامه: ٥٣)

٥. مبدأ الاتكال على الله

كما ذكرنا في البند "ج" حول الصبر، فإن الإمام علي عليه السلام يرى أن الحاكم عليه أن يتوكل على الله لكي يتمكن من تنفيذ مهامه في تقديم الخدمة للناس: «وَلَيْسَ يَخْرُجُ الْوَالِي مِنْ حَقِيقَةِ مَا الرَّمَهُ اللَّهُ [تَعَالَى] مِنْ ذَلِكَ إِلَّا بِالْإِهْتِمَامِ وَالِاسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ». (الرسالة: ٥٣).

الخاتمة

الخدمات العامة عبارة عن أنشطة عامة تقدمها الحكومة أو الكيانات الخاصة نيابة عن الحكومة في المجالات الإدارية والصناعية والتجارية

مرغوب فيه. يقول الإمام علي لمالك: «تَفَقَّدَ أُمُورَهُمْ بِحَضْرَتِكَ وَ فِي حَوَائِجِي بِالْإِدْرَاكِ». (الرسالة: ٥٣)

في جزء من الخطبة ٨٧ من نهج البلاغة، يشير أمير المؤمنين عليه السلام إلى عدد من الخدمات العامة التي قدمها هو نفسه كحاكم إسلامي:

(١) العمل بالقرآن: «أَلَمْ أَعْمَلْ فِيكُمْ بِالثَّقَلِ الْأَكْبَرِ». يقول شارحو نهج البلاغة أن المقصود بالثقل الأكبر هو القرآن الكريم (ابن ميثم البحراني، ١٣٦٢: ٣٠٣/٢). وفقاً لما جاء في مبدأ الحكومة التي يسودها القانون في الفقه العلوي، فإن العمل بتعاليم القرآن يعني العمل بالقانون. إن الخدمة الأكثر جدارة والتي يمكن أن تقدم للشعب من قبل الدولة هي العمل بالقانون.

(٢) رفع راية الإيمان: «قَدْ رَكَزْتُ فِيكُمْ رَايَةَ الْإِيمَانِ»: ويعني عليه السلام براءة الإيمان طريق الهدى الذي يتمثل في العمل بكتاب الله عز وجل وسنة رسول عليه الصلاة والسلام، ووجه الشبه يكمن في أن القرآن والسنة النبوية يهديان البشر إلى الصراط المستقيم كما تهدي الرايات الناس إلى وجهتهم (المصدر نفسه، ٣٠٣/٢).

(٣) توعية الناس بحدود الحلال والحرام: «وَقَفَّقْتُكُمْ عَلَى حُدُودِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ»: ويشير هذا إلى الاهتمام بالخدمات التعليمية.

(٤) توفير الأمن: «أَلْبَسْتُكُمْ الْعَافِيَةَ مِنْ عَدْلِي»: المقصود بالعافية الأمان من الأذى على يد الظالمين وكما يلقى الإنسان في أمان من الحرّ والبرد في ملبسه فإن العافية تحمي الإنسان من خطر الظلم (المصدر نفسه: ٣٠٣/٢)، وهذا يشير إلى الخدمات العسكرية والأمنية.

(٥) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: «فَرَشْتُكُمْ الْمَعْرُوفَ مِنْ قَوْلِي وَ فَعْلِي».

(٦) بيان الفضائل الأخلاقية: «أَرَيْتُكُمْ كَرَائِمَ الْأَخْلَاقِ مِنْ نَفْسِي»: البندان ٥ و ٦ يشيران إلى الخدمات الأخلاقية والتعليمية.

المبادئ السائدة في الخدمات العامة

وتعتمد الخدمة العامة التي توفر مصالح الشعب وتلبي احتياجاته على المبادئ التالية:

١. مبدأ المساواة

إن الحفاظ على مبدأ المساواة في العلاقات العامة والإدارية وخدمة الناس ذو مكانة مميزة في الفقه العلوي. يطالب الإمام علي عليه السلام ولاته وموظفيه بالمساواة بين الناس حتى في النظر إليهم. في رسالته إلى محمد بن أبي بكر يقول عليه السلام: «وَأَسَى بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ وَالنَّظَرَةِ حَتَّى لَا يَطْمَعُ الْعُظَمَاءُ فِي حَيْفِكَ لَهُمْ وَلَا يَبْئَسَ الضَّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ». (الرسالة: ٢٧).

- والمهنية والاجتماعية، على أساس مبادئ المساواة والاستقرار والاستمرارية، والتطابق وعدم الانحياز والمجانبة.
- وقد اهتم أمير المؤمنين عليه السلام بأن الحاكم لا يجب أن يغفل عن تقديم الخدمات العامة وتطرق إلى بيان الخدمات التي قدمها بنفسه كحاكم إسلامي وهي عبارة عن: العمل بالقرآن، الهدى، التعليم، الجيش، الأخلاق والتربية.
- وفي رسائله إلى الولاة، يكلفهم أمير المؤمنين بتقديم الخدمات التالية:
- ١- الخدمات الترفيهية ٢- الخدمات الثقافية التعليمية ٣-
 - الخدمات العسكرية ٤- الخدمات القضائية ٥- الخدمات الإدارية ٦-
 - الخدمات المالية والاقتصادية ٧- الخدمات التجارية والصناعية
- ويقوم مبدأ الخدمات العامة في نهج البلاغة على المساواة والصبر وعدم المنة والاستمرارية والتوكل على الله.
- المصادر**
- احمدي ميانجي، علي (١٣١٩). مكاتيب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم. الطبعة ١. قم: درا الحديث.
- امامي، محمد؛ استوارسنكري، كورش (١٣٨٨). الحقوق الإدارية. طهران: نشر ميزان
- آندره دوميشل؛ بيير لالومي (١٣٧٦). حقوق عمومي. ترجمه ابوالفضل قاضي. طهران: نشر دادگستر.
- بحراني، ميثم بن علي بن ميثم (١٣٦٢). شرح نهج البلاغة. دفتر نشر كتاب.
- پروين، خيرالله (١٣٩٣). أسس الحقوق العامة. طهران: سمت.
- جعفرى لنكرودي، محمد جعفر (١٣٦١). مدخل إلى علم الحقوق.
- دلشاد طهراني، مصطفى (١٣٧٧). حكومة الحكمة- الحكومة في نهج البلاغة. طهران: خانه انديشه جوان.
- رضائي زاده، محمد جواد (١٣٨٥). الحقوق الإدارية (١). طهران: نشر ميزان.
- سلطانمرادي، محمد؛ هاييلي، مريم (١٣٩٠). حقوق الإنسان في نهج البلاغة. السنة ٢، العدد ٥، قم، مجلة الدراسات التفسيرية.
- الشريف الرضي، محمد بن حسين (١٤١٤). نهج البلاغة (للصبي صالح). الطبعة: ١. قم.
- شوشتری، محمد تقی (١٣٧٦). بهج الصباغه في شرح نهج البلاغه. طهران: انتشارات امير كبير.
- عباسی، بیژن (١٣٩٣). أسس الحقوق العامة. طهران: انتشارات دادگستر.
- کاتوزیان، ناصر (١٣٨٣). أسس الحقوق العامة. طهران: نشر ميزان.
- گرجي ازندرياني، علي اكبر (١٣٨٩). أسس الحقوق العامة. طهران: انتشارات جنگل.
- گرجي ازندرياني، علي اكبر (١٣٩٠). عشرة أوامر في الحقوق العامة؛ تأمل حول المبادئ والمفاهيم البنوية للحقوق العامة. السنة ٤١ العدد ٢، طهران، مجلة الحقوق.
- ماندگار، محمد مهدي (١٣٨١). خط مشی های سیاسی نهج البلاغه. قم: بوستان كتاب.
- مكارم شیرازي، ناصر (١٣٧٥). شرح جديد وشامل ل نهج البلاغه. طهران: دار الكتب الاسلاميه، الطبعة ١.
- موسی زاده، رضا (١٣٨٦). الحقوق الإدارية. طهران: نشر ميزان.
- هاشمی خويي، ميرزا حبيب الله (١٤٠٠). منهاج البراعة في شرح نهج البلاغه (خويي). الطبعة: ٤. طهران: المكتبه الاسلامية.